

كيف ينهض المسلمون

إن من يحاول أن يكتب في هذا الموضوع ، وأن يلم به من جميع نواحيه لابد أن يضع نصب عينيه دائماً حقيقتين ثابتتين ، لاسيما إلى التغاضي عنهما بحال من الأحوال أولاها . أن العالم الانساني أصبح الآن متصلاً ببعضه ببعض اتصالاً وثيقاً يتأثر كل عضو فيه بما يتأثر به غيره من عوامل الخير والشر ، ومن عوامل الرخاء والضييق ، وأنه لاسيما إلى أن تعيش أمة الآن في عزلة عن العالم إلا إذا أرادت لنفسها الفناء والانقراض . ثانيهما : أن الأفكار والآراء وكل وسائل المعرفة الإنسانية أصبحت الآن سهلة ميسرة . ووضحت من السرعة والقوة في الانتشار بما يستطيع بها أي فرد في أي بقعة من العالم له استعداد في الفهم والإدراك أن يأخذ بنصيجه منها في الوقت الذي يتمتع فيه مواطنها بها ، فسرعة المواصلات من جهة . ووجود اللاسلكي من جهة أخرى ثم تقدم الصحافة . واختراع السينما كل ذلك قد ربط العالم ببعضه ببعض حتى أصبح هذا الرباط الآن من القوة والشدة بحيث لا تستغنى عنه دولة من الدول كأنها من كانت ، ولا ينصب هذا الاستغناء على الأمور الاقتصادية وحدها ، وإنما على كل المسائل الثقافية ، وما تحمله من أفكار وآراء ونظريات . . . والذي يعنيننا من كل هذه المقدمة أننا عندما ننظر الآن إلى أية أمة من الأمم الإسلامية أو غيرها من الأمم الشرقية التي لا تدين بالاسلام . نجد أنها تصطنع حياتها على نمط الحياة الغربية بأسلوب يختلف قوة وضعفاً حسب استعدادها ، وهضمها لهذه الحياة . فما هي الدوافع الحقيقية التي تدفع الشرق إلى ذلك سواء أراد أم لم يرده . أهى القوة ؟ أم هى السياسة الاستعمارية الغاشمة التي تتحكم في مصير الشعوب وشؤونها الداخلية والخارجية . نعتقد أنه لا هذا ولا ذلك لأن

التاريخ لم يحدثنا أن قوة من القوى مهما بلغت في شدتها وقسوتها قد قضت على كيان شعب من الشعوب فيما يتخلق به من مثل عليا ، ومن مبادئ رفيعة تتفق وطبيعة التطور التاريخي للانسان . بل كان ما يحدث هو العكس ، فروما المسيحية في قوتها وعظمتها ، ونموضها قبل أن تحل عليها هصور الجحالة والظلمة قد أخذت عن اليونان تراثهم الفكري فتأثرت به ، وأثرت فيه ، والمسلمون وهم مازلوا بعد في قوتهم ، وعظمتهم وسيطرتهم على قيادة العالم هضموا تراث الفكر اليوناني والثقافة الاغريقية ، وحافظوا عليها وديعة أمينة في أيديهم . كذلك لم يحدثنا التاريخ أن الاستعمار مهما كانت سسطوته ووحشيته ، واستبداده بالشعوب والأمم التي ابتليت به استطاع أن يكيف لها حياتها رغما عنها ، وأن يغير عقائدها ونظرتها للأمور والأشياء دون أن يكون لأبناء هذه الشعوب والأمم إرادة في ذلك ، وارتياح له وسكون إليه ، وكان بما لا يتفق وطبيعة التطور والرقى في الإنسان والسكانات . نعتقد أن ذلك لم يوجد بعد ، ولن يوجد أبداً .

إذا ما هي البواعث الحقيقية التي حملت الشرق بما فيه من مسلمين وغير مسلمين على أن يترسموا خطى الغرب . ويتأثروا بحسب حطهم من ذلك بحضارته وأساليبه في الحياة ؟ تقتضينا الإجابة على هذا السؤال أن نثير هنا مسألة أخرى وهي على أى شيء اكتسب الغرب هذه الحضارة وبأية سبيل نهض كل هذا النهوض ، وتقدم كل ذلك التقدم ؟ هل لتعاليم دينه المسيحي شأن في ذلك ؟ هل لانه يمتاز على غيره من أبناء الجنس البشري بقوة الادراك ونضوج العقل ؟ نجيب بملء فمنا لا هذا ولا ذاك .

فالشيء المتفق عليه أن هذه الحضارة الغربية استمدت عناصر حياتها وقوتها من التراث اليوناني الوثني ، ومن الثقافة الرومانية القديمة الحالية من كل معنى روسي . فالعقل الأوربي في تحرره وانطلاقه . انتصر بعد كفاح مرير

وصراع شديد بينه وبين الكنيسة . وعندما قدر له الناصر جودد بالكنيسة ، وبكل تعاليمها ، وأصبح بينه وبينها شبه عداء تقليدى . حتى وجدنا الكنيسة نفسها تعترف بنيمتها . وتقف مبهورة أمام ما انتجته العقل الأوربي بعد أن حطم كل ما وضعته أمامه من قيود وبعد أن تحلل بما كانت تقدمه له من خرافات وأباطيل تحيطها بهالة كبرية من التقديس لنوحى له بكل ما فيه احتقار للنشاط الديوى وكفران بالحياة ، وجحود بالطبيعة .

ثم أنه ليس هناك ما يثبت أن العقل الأوربي فى ذاته مجرداً من كل شىء يمتاز على غيره بشىء من الذكاء أو الإدراك فالحضارات التى تداولتها الإنسانية وتأثرت بها حملها الشرق إلى الغرب أولاً ، وكان له الفضل الأول فى تمهيد الطريق لقافلة الإنسانية لتبلغ غايتها من التطور والرقى .

إذاً فعناصر هذه الحضارة الغربية استمدت من العقل ذاته فى حرته . وفى انطلاقه فى مجراه الطبيعى دون قيود أو سدود تحد من مضائه ، وتقف حجر عثرة فى طريقه . فالظاهرة التى يمكن أن يلمسها الدارس للحضارة الأوربية هى الخصومة الشديدة لكل من يحقر العقل أو يكفر بهذه الحياة الدنيا . وبالتالى هى السعى ما أمكن للانتفاع بكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة واستخدامها لأغراض الإنسان فى معيشته . وطرق حياته . لقد كان العقل الأوربي فى أول ثورته رهو عنه كائناً بالكنيسة . مسرفاً فى خصوصيتها وفى كل ما يمت لها من قريب أو بعيد ولكنه بعد أن أثبت وجوده ، واطمأن على كيانه أصبح يؤمن بالدين . ولكن الآخرة وحدها . دون أن يجعله يتحكم فى حياته ، ويرسم له مجريات أموره .

وهكذا نجد العقل الأوربي الآن حتى وهو فى اعتداله هذا نحو الدين لا يؤمن إلا بالقوى المادية فى الإنسان . ولا يتخلق إلا بالأخلاق الصناعية ، وما تحقنه له من تسخير لقوى الطبيعة . وتغلب على صعاب الحياة ، ولكننا بينما نجد

قد برع في ذلك ، وزها بهذه الحضارة ، وبما بلغه من هذا التقدم المادي والصناعي . تجده من ناحية أخرى قد تغاضى عما للنفس الإنسانية من مثل عليا ليست من الأخلاق المادية أو الصناعية في شيء .

أن النفس الأوربية قد اكتسبت من وراء هذه الحضارة شيئا ، ولسكنها بجانب ذلك فقدت شيئا آخر لا يقل عما اكتسبته روعة ، وقوة ، وضرورة للإنسان

لقد اعتزت الحضارة الغربية بما بلغته من تقدم في الثقافة ، ومن تحقيق للنضوج العقلي الذي حقق لها بدوره . هذه القوة الصناعية الضخمة . وهذا الانتاج الوفير العظيم في كل شيء ، والذي غزت به العالم الشرقي . وكانت إلى عهد قريب جداً تتحكم في مصيره . . . ! ولسكنها من ناحية أخرى فقدت ما تحرص عليه كل مدنية فاضلة من صفات واعتبارات وقوانين خلقية تهذب النفس البشرية وتسيطر على القوى الغريزية في الانسان . حتى لا يجمع . ولا يتنكب سواء السبيل . . . والذي نلاحظه الآن على الرجل الغربي أنه بقدر ما أصبح غنيا قويا قادراً في مظهره الخارجي . وفي قواه الآلية العاملة . فإنه أصبح مريضاً مفلساً فقيراً إلى تربية نفسه الداخلية . . . فنظام الأسرة قد أصبح مفككا لا تربطه إلا خيوط واهية ، وأعصاب الانسان قد أصبحت ضعيفة تالفة من هذه الحياة الآلية التي يحياها رجل الغرب . وبما يتراكم عليه من انفعالات ومؤثرات لا تجد أمامها شيئا من المقاومة ، والوقاية للانسان لتلاشي الانبعاثات الروحانية في نفسه . ولقد كان من أثر طغيان هذه الحياة المادية على جميع احساساته ومشاعره . أن ضحى بكل القيم والآداب التي كانت ضابطة للنفس البشرية في نزواتها ، وجائعة لها شهواتها ، ومنقذة لها من انحطاطها ، وكان من أثر ذلك أن أصبح عنده من الأثرة والأنانية مالا يتفق وصفات الانسان الممذوب كما يعرفه علماء الاجتماع . اثم كان من أثر ذلك أيضا أن فقد هدوء النفس

وأصبح يعيش في دائرة مفرغة من القلق والاضطراب

يقول الأستاذ ليوبولد فايس (١) في كتابه (الاسلام على مفترق الطرق) الذي نقله الدكتور عمر فروخ إلى العربية من فصل بعنوان «روح الغرب» (إن الفضائل الخلقية القديمة التي يؤيدها الدين أخذت تخلي مكانها بالتدريج للفضائل الغربية الجديدة التي تدعو إلى حرية فردية للجسد البشري غير مقيدة أما ضبط النفس : ومراقبة الصلات الجنسية فإنهما تفقدان من أهميتهما بسرعة وإن الصلات الوحيدة الممكنة في المستقبل ستكون مستمدة — في أحسن الأحوال — من اعتبارات في درس الجماعات الانسانية والتناسل

وليس من غير المفيد أن نلاحظ أن كلا هذين التبديلين — ذلك الذي يرجع إلى صلات الأولاد بالوالدين وذلك الذي يرجع إلى الصلات بين الجنسين — قد سير بهما إلى نهايتهما المنتظرة في الروسية السوفياتية التي لا تمثل من الناحية الثقافية تطوراً مختلفاً في أساسه عما في سائر العالم الغربي . بل على العكس من ذلك ، يبدو لنا أن هذه التجربة الشيوعية ليست شيئاً آخر سوى التناهي . وسوء البدء لتحقيق تلك الميول في المدنية الغربية الحديثة ، تلك التي هي بلا شك لا دينية ، والتي هي في هدفها الأقصى لادينية أيضاً . ويمكن أن يكون ذلك العداء الحار بين الغرب الرأسمالي . وبين الباشفعية ، في أساسها راجعاً فقط إلى اختلاف الخطى بين تينك الحركتين المتوازيتين في جوهرهما وفي انطلاقهما نحو هدفهما الأقصى . وإن تشابههما الباطني سيصبح بلا شك أبرز فأبرز في المستقبل ، ولكن منذ الآن يظهر أن المسيل الأساسي في

(١) المؤلف نمسوي الأصل اعتنق الاسلام وتسمى باسم محمد أسعد . وقد ترك بلاده النمسا عام ١٩٢٢ ليتجول في أفريقية وآسيا باعتبار أنه مراسل لبعض الصحف الأوربية وكان من أمر احتكاكه بالمسلمين أن نشأ في نفسه ميل إلى دراسة التعاليم الاسلامية . وتناقش مع كثير من المعلمين الاسلاميين . وكان أن ملكت روعة الاسلام وقوته عليه احساساته ومشاعره حتى أنه لما عاد إلى بلاده عام ١٩٢٦ اعتنق الاسلام ديناً له

الرأسمالية الغربية ، وفي الباشفوية كاتيهما إنما هو التخلي عن شخصية الانسان الروحية ، وفضائله الخلقية للمقتضيات المادية . . . ثم يستطرد فيقول . . . إن المدنية من هذا النوع إنما هي سم زعاف لكل ثقافة مبنية على القيم الدينية . ومؤلانا الصحيح عما إذا كان من الممكن أن نكيف أسلوب التفكير والحياة في الاسلام حسب مقتضيات المدنية الغربية . يجب أن يحجب عليه بالنفي . إن أول أهداف الإسلام وأهمها إنما هو الرقي الداخلي . وهكذا تتغلب الاعتبارات الخلقية على اعتبارات الانتفاع الخالص . أما في المدنية الغربية الحديثة فالأمر معكوس تماماً . إن اعتبارات الانتفاع المادي تسود جميع مظاهر النشاط الإنساني أما الأخلاق فتنتفي إلى زاوية مظلمة من الحياة . ثم يحكم لها بوجود نظري خالص من غير أن يكون لها قوة مؤثرة في المجتمع أن الوجود نفسه في مثل هذه الأحوال رياء ، وهكذا نجد أن المفكرين الأوروبيين المعاصرين معذورون بالإضافة إلى أنفسهم ، إذا كانوا في أثناء تكرار النظر إلى المصاير الاجتماعية في المدنية الغربية يتحاشون الإشارة إلى الأخلاق المطلقة . أما الذين هم أقل نبلا منهم - أي أولئك الذين هم أقل وضوحاً في اتجاههم الخلقى - ففكرة الأخلاق المطلقة لا تزال باقية عندهم على أنها عنصر أصم في التفكير ، أشبه بما يضطر الرياضى إلى العمل به من الأعداد الصم التي لا تمثل في نفسها شيئاً محسوساً لسكنها (هذه العناصر) على كل حال أشياء مرغوب فيها لسد أما كن الفراغ في الخيال ، تلك الأماكن التي اقتضتها قيود البناء للعقل الإنساني .

إن مثل هذا الموقف المذبذب من الأخلاق لا يتفق بكل تأكيد مع الاتجاه الدينى ، ومن أجل ذلك كانت أسس المدنية الغربية الحديثة لا توافق الإسلام . على أن هذا يجب أن لا يحول أبداً دون إمكان أخذ المسلمين من الغرب ببعض البواعث في ميدان العلوم المجردة . والعلوم التجريبية ، ولكن

صلاتهم الثقافية يجب أن تبدأ عند هذا الحد ، وتنتهى عنده أيضاً . أما أن يخطو المسلمون إلى أبعد من ذلك ، أو أن يقلدوا المدنية الغربية في روحها ، وأسلوب حياتها ، وفي تنظيمها الاجتماعى فهو المستحيل ، إلا إذا سددت ضربة قاضية إلى الإسلام كدولة إلهية . وكدين عملى) انتهى .

والمذهب الوجودى الذى أنشأه الفيلسوف الألمانى هيديجر فى العصر الحديث . والذى تأثر به شباب الغرب وخاصة فى فرنسا حيث يجد فى كل يوم أتباعاً وأنصاراً والذى يحمل لواءه الآن الفيلسوف الفرنسى المعاصر سارتر قائم على أساس من الاضطراب النفسانى ، والفوضى الخلقية . وهذا من غير شك أثر من آثار التمرد المسمى فى الانسان ، وانفجازه كل فiske روحانية فهذه الوجودية التى تمخض عنها الآن العقل الأوربى تدعو إلى أن الانسان فى هذه الحياة لا يشعر بوجوده الحقيقى إلا إذا تخلص من كل قواعد الاخلاق ، والتربية ، والعادات ، والعقائد ، وكفر بكل قانون على . أو أسلوب تاريخى لتفسير معنى الحياة . فالإنسان فى هذا السكون هو كل شىء . والصفات الخيرة والمثل العليا ، والتقاليد الحميدة . التى نادتها الديانات ، وسجلها التاريخ الطبيعى للإنسان هى قيود حقيرة تتخذ من حرته ، وقوته وسعادته ويمكن كما يقول ذلك (ديديه أنزيو (١)) « أن نعتبر شعار الوجودية . والكلمة المعرفة بها تلك الفiske التى افتتح بها (هيجل) « دروسه فى فلسفة التاريخ » إذ يقول « إن الشرقيين لا يعرفون أن العقل حر . أو أن الانسان حر ، من حيث هو إنسان بل هم يعلمون أن واحداً هو الحر . وهذا هو حكم الاستبداد . أما اليونان فيعرفون أن بعض الناس أحرار ، لسكن نظام الرق يستمر بينهم . والمسيحية

(١) فى فصل عن الوجودية نشر بمجلة السكاتب المصرى وترجمة إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة .

تبين شيئاً فشيئاً أن الإنسان ، من حيث هو إنسان حر ... ، والناس لا يعرفون جميعاً ذلك . والفيلسوف الوجودى يعلمهم أنه بحسب كلمة لشخصية من الشخصيات التى صورها دستوفيفسكى يمكن القول « إن كل شىء فهو جائز غير محرم » .

ففكرة المجتمع الإنسانى فى نظر الوجودية . وعلاقة الإنسان بالحديث المتحضر فى الغرب بأى فرد من أسرته أو بين جنسه هى كما عبر عنها ساتر بفكرة اللزوجة (فكل وجود هو قبل كل شىء مأشبه برائحة كريهة تبعث شعور الغثيان وعلى هذا فإن ما يشعر به الإنسان حين يستخدم المترو : له من هذا الوجه أهمية ميتافيزيقية ، فأنا أحس وسط الزحام إحساساً واضحاً بتلك اللزوجة التى هى خاصة أساسية للإنسان ؛ على أن العلاقات التى تربطنى بالآخرين هى من هذا الطراز ، فلا تربطنى بهم صلة روحية ، بل الأمر لا يعدو تلامساً يلتزق فيه وجود بوجود) .

وعلى هذا فالإنسان الوجودى يعيش فى هذه الحياة حسب ما توحى إليه غرائزه ، وحرية الفردية ، دون أن يقيد نفسه بشىء . أو يخضع لشىء إلا أنه فوق الحياة جميعاً . فلا خير عنده ولا شر ، ولا حق ولا باطل ، ولا فضيلة ولا رذيلة وليس هناك شىء فى الوجود يمكن أن يستدعى أكثرائه أو يقف حائلاً أمام انطلاقه . وتمتعه بكل ما يقدر عليه ، وما يستطيعه من ملذات وشهوات . فالرجل الممذّب المتمسك بأداب اللياقة يحسن الأخلاق . والمحافظ على حصانته . النافر من العلاقات الجنسية غير المشروعة هو رجل مرأى قد خدع نفسه . أو ضعيف قد خضع للتقاليد والعادات وهى من العيوب البالغة فى نظر الوجودية . لأنه يجب على الإنسان الوجودى (أن لا يترك نفسه تقع فى حبال وهم ما . على أوقى ، أو سيمى ، أو خلقى . هى تريد أن تحيا بنفسها لا أن تترك فكرة ما غير شخصية . أو ضميراً جماعياً يحتل مكانها . ويعيش فيه . هى تسير على قاعدة تفرقة الإنسان بين شخصه

أو « أنا » وبين الآخرين أو « هم » وليس الذي يجب أن يحيا في كل منا هو الـ « هم » أعني الشيء الذي ليس حقيقةتنا ، بل هو الـ « أنا » إن الحياة الحقيقية (تنصرف عن التسلّيات وهي تعلم نفسها وجوداً محضاً ، هي شاعرة بنفسها ، ولا تترك حريتها المستمرة) .

هذه هي الحضارة الأوربية وما تحمله من عناصر القوة في مجالها الثقافي والاقتصادي والصناعي ، وما تحمله من عناصر الضعف في محيطها الروحاني والنفسي والخالقي . والاسلام لا بد له وهو في طريق قوته ونهوضه من أن يهضم هذه الحضارة . ويحتضنها ويبلورها في نفسه ، ومن أن يحافظ على شخصيته ، وذاتيته الخاصة بعد ذلك كله ليستطيع أن يؤاخي ، ويجمع بين هذه الحضارة وبين ما يتوفر له من روحانية واعية وآداب عالية لتهديب نفسه البشرية . والسبيل إلى ذلك صريحة واضحة . وهي أن يتحلل أولاً وقبل كل شيء مما أحاطته به التقاليد البالية ، والرجعية المميتة من أباطيل وترهات ، وأن يأخذ دينه من مصادره الأولى صافياً خالصاً بما نسب إليه من خرافات وأوهام .

لقد تحدثنا في الفصل السابق عن العوامل التي أدت بالمسلمين إلى التأخر والتخلف عن ركب الانسانية في طريقها إلى التقدم والرقى ، وعندما يمعن السكائب نظره إلى ذلك ويرتب النتائج على المقدمات . يجد أن هناك شبهة كبيرة بين بواعث تأخر المسلمين . وبواعث تأخر الأوربيين في القرون الوسطى . فالحكم الأوتقراطي الذي جمع في تشابهه . ونتائجه بين الاثنين هو شر ما ابتليت به الانسانية قديماً وحديثاً ، وعندما نسجل حوادث التاريخ نجد أن كل أمة أرادت أن تتحلل من هذا الطغيان الأوتقراطي سلكت طريقاً واحداً هو الثورة . وكان الدين الذي يستند عليه الطغاة الأوتقراطيون في حكمهم هو أول هدف تريد تحطيمه الثورة . لقد تحدثنا إليك في المقدمة عن كل هذه الثورات . فارجع إليها تجد أن التشابه واضح بين في مقدماته . ونتائجه . غير أننا نريد

أن نقول الآن إن هذا النضر الأولي تقرر على بمساوته ومآسيه قد مضى وإن يعود أبداً . ذلك أن أغلب الأمم الإسلامية تحكم الآن حكماً دستورياً على مبادئ ديمقراطية . وإن كنا نرجو أن تراعى الحكومات الإسلامية أن الديمقراطية الحضارية ليست هي النظام السياسي وحده أو تحقيق مظاهره لا غير ، وإنما هي أيضاً وقبل كل شيء الديمقراطية الاقتصادية ، والديمقراطية الاجتماعية .

والذي نحب أن نقوله هنا أن المسلمين أو بعضاً منهم يتمسكون بالوسائل الأولى التي كان يصطنعها الإسلام ليحقق من أجلها غاياته . وهذا إذا صدق على دين آخر . فلن يصدق على الإسلام لأنه غنى بما فيه من مرونة تتفق وطبيعة التطور في الحياة ولقد تحدثنا نحن عن ذلك بما فيه الكفاية في فصل (الإسلام كتنشيع للبشر) بيد أننا نريد أن ننبه هنا مرة أخرى بأنه إذا قدر للإسلام أن يحتل مكانته الماضية ، وأن يكون ذا أثر فعال في التوجيه العالمي ، وأغلب الظن أنه سيقدر على ذلك مستقبلاً . إذا استطاع أن يقضى على كل ما تراكم عليه من خرافات وأباطيل ، ودعاوى تدعوه إلى الرجعية والجمود ، ثم إذا استطاع أن يستوعب كل ما أفاده الغرب من ثقافة . وأن يخطو خطوات واسعة دون تعب أو ملل . ليبلغ ما بلغه من أشواط في النضوج العقلي . والتقدم الصناعي . وإن يتأتى له ذلك إلا إذا فتح باب الاجتهاد الذي دعا إليه وعمل به من قديم .

أن الإسلام في عصره الأول أقام بناء دولته على أسس دينية محضة لأنه كان بمثابة ثورة يقطعة تريد أن تقضى في سرعة وقوة على عوامل الانحلال الخلق والغشاة المظلمة التي كانت تسود الجنس البشري في ذلك الحين . ولكنه مع ذلك ، وحسب وعيه لحقيقة الحياة ولسنة التطور في الإنسان والكلابات جاء مرناً حكماً مسيراً القانون الطبيعي للحياة ، وعندما يتعمق الباحث في دراسة الدعوة الإسلامية تلبين له هذه الروعة في أوامره ، ونواهيها التي كانت تتفق ، وظروف الزمان . والمكان . وطبيعة العلاج للحوادث ، والأشياء

والإنسان جميعاً وقد أسهبنا نحن في شرح كل ذلك في فصل (الاسلام كتشريع للبشر) .

والذى نحب أن نعرضه هنا بعد كل ما تقدم . هو هل ينبغى للمسلمين . وهم على حالتهم هذه أن يرجعوا إلى دينهم فى كل شئونهم الدنيوية . أو بعبارة أخرى هل يقيمون دولتهم على أسس دينية محضة كما كانت فى العصر الأول للإسلام ؟ جوابنا على ذلك بالنفى والإيجاب معاً . بالنفى (أولاً) لأن الإسلام وهو الدين الوحيد الذى احتفل بحياة الانسان الدنيوية . وراعى كل المراعاة حريته وسعادته . وحقه فى الحياة الكريمة لا يقبل مظاهر أو صوراً متحركة لاروح فيها بقدر ما يقبل تحقيق غاياته فى سهولة ويسر ووضوح . باى نظام من النظم ، ووسيلة من الوسائل (ثانياً) أن المعرفة الانسانية ، والتقدم البشرى حق مشاع لا بناء الانسانية جميعاً فليس العيب أن ننقل عن أمة محاسنها ، وأن نتسلح ببواعث تقدمها ونهوضها ثم ننافسها فى مجالى الرقى والمدنية ، وإنما العيب هو أن نظل فى مكاننا لا نرجم عنه . جامدين متمسكين بدواعى الرجعية والجهالة (ثالثاً) ما تسرب إلى علوم الإسلام من مبادئ مهادمة وأشياء أحدثتها الفرق المتعددة . والأحزاب السياسية المتنافسة على الخلافة وأخذها المتأخرون على أنها من التراث الاسلامى وهو منها براء : لا تعطى المسلمين القوة والمضاء فى مسايرة ركب الانسانية . بل هى على العكس تقضى على ما فى الاسلام من مرونة وقابلية تتفق مع التطور ، وتسير جنباً إلى جنب مع نضوج المعرفة البشرية فى الانسان . وإن نذهب بك بعيداً فالتاريخ شاهد صدق على ما نقول . ونظرة يسيرة لتاريخ المسلمين تبين لك أن الفقه الاسلامى . وقف جامداً لا يتحرك منذ القرن الرابع الهجرى . وأن المسلمين كانوا مستغرقين فى نوم عميق حتى أوائل هذا القرن دون أن يوقظهم موقظ . أو ينذرهم منذر عما ينحدرون إليه من هاوية سحيقة . ولولا بعض مفكرى الاسلام مثل الاستاذ جمال الدين الافغانى ، والاستاذ الامام محمد عبده لما رأينا بواعث هذه

القوة - وإن لم تزل ضعيفة بعد - تدب شيئاً فشيئاً في كيان المسلمين .

ثم نجيب بالاجاب وذلك (أولاً) عندما يتم المسلمين القضاء على ما يسود غالبهم الساحقة من جهل وأمية وعندما يبلغون شوطاً بعيداً في معرفة العلوم الطبيعية والرياضية وعندما يأخذون بحظهم من جميع الثقافات المختلفة مستوعبين حقيقتها مدركين ما ترمى إليه دون أن تضمحل شخصيتهم أو تضعف روحهم من وراء ذلك كله . (ثانياً) عندما يتكون الوعي الديني الحقيقي الذي يتفق وما أنزل الله في كتابه الكريم من فهم للإسلام كرسالة عالمية . وكدين عملي لا يقف أمام المظاهر . وإنما يسعى إلى الحقائق . ولن يتأتى ذلك للمسلمين إلا إذا حرروا عقولهم . ونظروا إلى أعمال أسلافهم بشيء من التحفظ . والنقد . بدل أن ينظروا إلى ما صدر عنهم من أقوال وأعمال نظرة الاكبار . والتقديس (ثالثاً) إذ استطاع علماء المسلمين وفقهائهم أن يتخطوا هذه الدائرة المقفلة التي يعيشون فيها بعيدين عن المجتمع الاسلامي غير مؤثرين فيه بشيء أو فاتحين أمامه مجالاً لفهم الدين الفهم الصحيح . ولإدراك الإدراك البصير . بل بالعكس نراهم مشفقين بل فزعين من كل حركة تجديدية في الدين . ومن كل ثورة حاسمة للقضاء على ما تراكم عليه من أختلاقات وأباطيل . طيلة قرون طويلة خيم فيها الجهل والظلام على العالم الاسلامي

والسؤال الذي يدور بخلدنا الآن هو هل يمتلك المسلمون في الوقت الحاضر العوامل والدوافع التي تدفعهم إلى الرقي . والنهوض ، وهل يكون نهوضهم هذا على أيدي أئمتهم من رجال الدين . أم على أيدي هذه الجماعات الإسلامية المتعددة . وما تبذله من نشاط ديني أم على أيدي عامل خارجي آخر ؟

أننى إن أشفق من الجواب على هذا السؤال لأننى أحب أن أعرف عيوبى قبل أن أعرف محاسنى ولأننى أحب أن أعى وأتنبه إلى ما يعترينى من نقص قبل أن أغتر وأقنع بما يترامى لى من قوة .

إن من يتعمق في درس حالة الغالبية من الأمم الإسلامية الآن لا يجد عنده الجواب المطمئن على أنها تملك كل الوسائل في هذا الوقت . لتنهض ، وتحتل مكانتها الدولية كأعظم قوة مؤثرة في سياسة العالم ، وموجهة له . وذلك لوجود هذه الأغلال التي يرسف فيها بعض أبناء البلاد العربية التي ما زالت تحكم حتى الآن حكماً أوتقراطياً . ولا تصدق من يزعم لك أن هذا هو حكم الإسلام الصحيح .

إن من السهولة بمكان أن توجد الدوافع الحقيقية لرفعة شأن المجتمع الإسلامي وأخذه بحظ يذكر من الحضارة والمدنية ، والقوة والحيوية . لو تدبر أولو الشأن أمرهم في البلاد الإسلامية وقضوا على هذا التفاوت الطبقي الذي يسود العالم الإسلامي في هذا العصر ليحققوا بذلك معنى العدالة الاجتماعية أو الاشتراكية الإسلامية . وليقضوا على المبادئ الهدامة وهي في مهبها وقبل أن نجد لها تربة صالحة ، ثم إذا فتحوا الباب على مصراعيه لنشر الثقافة والتعليم . ومحاربة الجهل والامية في قوة وعنف ، حينئذ يتكون عند المسلمين الوعي الديني لفهم العقيدة الإسلامية على حقيقتها فلا أمل من هؤلاء الذين نسميهم فقهاءنا الدينيين في بعث الإسلام من جديد في قوته . وحيويته . وسموه لأنهم لا يتساحون بما يوجبه هذا البحث من حرية عقلية . ومن ثقافة عميقة غير تقليدية . ومن نشاط ديني ملحوظ . ثم أخيراً من تضحية بالمنافع المادية في سبيل الرأي والتطلع إلى تحقيق مثل العليا في الحياة .

إن هذه النزلة . وهذا الجمود الذي أصبح شعار علمائنا الدينيين . لا ينذر بأن الإسلام سينهض على أيديهم إلا إذا تخلوا عما يسيطر عليهم من خمول وكسل ودواعي رجعية . وإلا إذا تحرروا مما تحيطهم به التقاليد . والعادات من تقدس للقديم . واشفاق من الجديد . ثم إني عندما أنظر إلى نشاط الجمعيات الإسلامية . ومدى فهمها لحقيقة الدعوة الإسلامية . وطبيعة الأمور . وسنة

التطور في الإنسان والكائنات . أشفق من هذا المجهود . وهذا الوقت الذي يضيع هباءً منثوراً .

إن المتتبع لحركات هذه الجماعات الإسلامية يجد أنها تهدف إلى تحقيق غرض واحد وهو رجوع المسلمين إلى مبادئ دينهم . وهذا شيء تؤمن به جميعاً ، واعتقد مخلصين أن العالم كله لا المسلمين وحدهم - وهو الذي أصبح كآسرة واحدة يتأثر بعضها ببعض - سيستنقذ نفسه بما هو غارق فيه من حيرة نفسية . ومن إفلاس في حياته الروحية - فيرجع كأشد ما يكون إيماناً متمسكاً بعقيدته الدينية من جديد ، ولكن لا يستعير صورة أصلية مما كان عليه الدين في عصوره الأولى ، وبما كان يصطنعه من وسائل لتحقيق مبادئه . وغاياته لأن ذلك لا يتفق وحكم التطور الذي يخضع له الدين . أو تخضع له وسائله . كما تخضع له الأشياء والكائنات جميعاً . وإن يتعب العالم في البحث عن عقيدة تتفق وما بلغه من نضوج في العقل وقوة في الإدراك لأن عقيدة الدين الإسلامي في جوهرها ستأخذ عليه نفسه وعقله . ومداركه جميعاً .

إنى لا يتسم في سخرية مريرة عندما أرى أن من أهداف هذه الجماعات أن ترجع المرأة إلى عهد الحجاب . وأن تظل كما كانت ساذجة قاصرة أشبه ما تكون بعضو أشل في المجتمع الإسلامي بدعوى أن ذلك يحفظ حصانتها . ويمنعها من أن تهوى أو تخدع إلى طريق الفساد . ثم أن تلغى هذه القوانين التشريعية الوضعية ليحل مكانها الفقه الإسلامي . كما أستنتجه . واجتهد فيه فقهاء المسلمين الأولين في العصور الأولى للإسلام بالرغم من جموده . وعدم تطوره كل هذه القرون الطويلة من الزمان . لا أيها السادة ! إنكم تعيشون في برج من العاج . وإنكم بذلك لا تخدمون الإسلام لتفسيركم له بهذا المعنى الضيق العجيب الذي لا يدل على ما يمتاز به من مرونة ، وأنه أتى لتحقيق غايات لا للتمسك بوسائل ومظاهر وصور لا تغنى من الأمر شيئاً . وكأنكم بذلك تعيشون في واد .

العالم كله في واد آخر ، وكأنكم تقفون بينما يمر ركب الانسانية دون أن
تدركون أو تستيقظون .

إننا نؤمن أن نهوض المسلمين محقق لا ريب فيه سواء كان ذلك قريباً أم
بعيداً . ولكننا نشك أن يكون نهوضهم هذا على أيدي هذه الجماعات التي
نعيش في مناقشات بين نظرية لا غير .

وإذا كنا نأمل في هذه الجماعات خيراً الاسلام فهو أن نقترح عليهم أن
تتشو المدارس المتعددة لتثقيف أبناء الشعب ، وأن يقيموا المؤسسات الكبيرة لمحو
الفقر ، المرض والبطالة ، وأن يوجهوا نشاطهم إلى التبريز والمنافسة الشريفة
للمجال الاقتصادي والصناعي . ثم يعملون بكل ما في طاقتهم لتحقيق العدالة الاجتماعية
لقد كنا نحمد جماعة الإخوان المسلمين اتجاه نشاطها إلى هذه الميادين الثلاث
فنحن نرجو من صميم قلوبنا بعد أن خرجت من هذه المحنة التي صهرتها صهر
ن تتجه بكليتها إلى هذه الميادين الثلاث أولاً . لأننا لسنا في حاجة الآن إلى شيء
يؤخر حاجتنا إلى تسكين مجتمع إسلامي مثقف . قوى نظيف . عامل مفيد
مستقل حر . معتمد على ما تذخر به قلوب أبنائه . ونفوسهم من خصوص
حيوية . حينئذ سنحقق بأن فجر الإسلام قد أوف . وبأن مجدد الإسلام
نهوض المسلمين أصبح حقيقة لا جدال فيها ؟

فهرست الكتاب

الصفحة

الموضوع

٢١ - ١

لماذا وضعت هذا الكتاب ؟

البيئة وأثرها في الثورات الانقلابية - لماذا كانت توجه هذه الثورات دائماً ضد الدين - ثورة اليونان الفكرية القديمة - ثورة الشيوعية ضد القيصرية في روسيا - ثورة الأتراك على الخلافة العثمانية في تركيا - مدى مسئولية رجال الدين في الشرق والغرب عن ذلك - الصوفية وتفسيرها لمعنى الهدى في الحياة بما لا يتفق ونظرة الدين - لم يوضع هذا الكتاب إلا للدفاع عن الدين وإظهار جوهره ، ولغاياته - إن المادية ليست كما يدعى بعض علماء الدين ورجال الصوفية من أنها لا تتفق مع الروحية في شيء - أن الإسلام ، ليس دين رهبنة وإنما هو دين هملي - أن كل مادعا إليه من عبادات هو في الواقع تغذية لحياة الانسان الدنيوية - أن هذا الكتاب وما يدعو إليه من محاربة البدع والاختلافات في الدين هو خير من يقف في طريق هذه المبادئ الهدامة

٤٨ - ٢٢

هل الدين لازم للبشر

ما معنى الدين - نظرية دارون والرد عليها - حالة الانسان البدائي - كيف نشأت العقيدة الدينية عنده - تطور الديانات - رأى العقاد ورد عليه - العقيدة من مقومات الانسان - لا يمكن لانسان أن يعيش بغير عقيدة - الملحد له عقيدة أيضاً واسكن من زاوية أخرى - أن الدين في ذاته لم يقف في طريق التقدم البشري - رأى (لجولي استيوارت ميل) - رأى للأستاذ الفيلسوف جاك الدين الأفنانى - أن العقل وحده لا يكفي لمعرفة أسرار الكون - رأى للفيلسوف الانجليزى (الدوس هكسلى) ، استشهاد بما يذهب إليه الأستاذ العقاد في أن العقل لا يكفي لإدراك الذات

الالهية - رأى للنياسوف (أجوست سباتيه) من كتابه
فلسفة الدين - آراء لغيره من الباحثين الاوربيين - رأى
الاستاذ أحمد بك أمين - ماذا يتنبأ الباحث للدين -

٤٩ - ٦٩

حالة الإنسانية قبل الاسلام

لقد كان تطور الديانات متفقا مع تطور الإنسانية في
الوعي والادراك ماذا كان عليه البشر قبل نزول الاسلام -
البيئة العربية - بيئة الفرس والروم باعتبارها الدولتين المسيطرتين
على العالم في ذلك الحين - التاريخ القديم لفرس والروم -
ماذا كان نظامهما السياسى والاجتماعى ، والاقتصادى -
سلطان المسيحية في ذلك الوقت - التاريخ الاسود للحاكم التفتيش
حالة الجزيرة العربية قبل الاسلام ماذا صنع الاسلام بالعرب -
مقارنة بين مبادئ الاسلام وغيره - الغايات التي جاء ليعققها
الاسلام ، رأى لنياسوف حول لا بوم في حالة العالم قبل الرسالة المحمدية

٧٠ - ٩٨

الاسلام بين الديانات

الاديان جميعها يجمعها زباطواحد - مراحل التطور البشرى
- تاريخ الديانات المقارن - الذاتية الخاصة للديانة اليهودية
- هل الديانة اليهودية أول ديانة نزلت بالتوحيد - من
هم اليهود ، وماهى صفاتهم - كيف ظهرت المسيحية -
خصائص الديانة المسيحية - مخالفة المسيحية لليهودية - لماذا
اختصت الديانة المسيحية بالدعوة للروحانية وحدها - كيف
تألفت المسيحية بلون جديد - تدخل « البروتستانت »
لاحد من سلطة رجال الدين المسيحيين - الاسلام دين عام
- مقارنة الاسلام بالديانة اليهودية والمسيحية - خصائص
الاسلام باعتباره دعوة عالمية - رأى لبعض المفكرين في
شخصية النبي عليه السلام - ما في الاسلام من مرونة تتفق
وتطور الزمن

٩٩ - ١٣٩

الاسلام كتنشيع للبشر

مصادر التشريع الاسلام - أهداف الاسلام - تقريبه
بين الانسان وخالقه - دعوة إلى المساواة المطلقة - نزول
بطريق التنديج مراعى ظروف الزمان والمكان - نزول بطريق

الاجان ليترك مجالا لاجتهاد الانسان - جعل العبادات وسائل
لغايات - راعى حرية الفرد مع مصالحة المجموع - جاوز
المخلوقات عند الضرورات - قرر إذا تعارض العقل والنقل
أخذ بما يتفق والعقل - حارب السكهنوتية والسلطة الدينية -
جعل الاصل في الاشياء الاباحة - جاوز ترك الفروض إذا
كان في ادائها ضرر .

١٨٠ - ١٣٧

لماذا تأخر المسلمون

آراء بعض المفكرين الاسلاميين في سبب تأخر المسلمين -
آراء بعض المفكرين الاوربيين في ذلك - ليست آراءهم
هذه مما أصاب الحق - الاسلام كدعوة عالمية يستمد على
أركان ثلاث - كيف تحققت هذه الاركان جميعها في عهد النبي
محافظة الخليفة الاول على هذه الاركان - شخصية الخليفة الثاني
مدى أثرها في الاسلام - تأريخ العهد عمر - محافظته على هذه
الاركان الثلاث - مقارنة بين كل من أبي بكر وعمر وعصرهما
اجتهاد عمر وقوة شخصيته ونظاره إلى بيده كيف تمت روح
الاسلام في العهدين السابقين - طبيعة عصر الخليفة الثالث -
تحلى التوفيق الذي لازم الاسلام عنه في هذا العصر - ظهور
العصية العربية - هل يبرر ذلك مقتل عمر بيد فارسية
استعانة عثمان بأقاربه - ظلم الموالي في الامصار - دفاع عن
عثمان في إيمانه وأخلاقه - الامويون ومقتل علي - كيف
استقرت الامور لهم - طبيعتهم السياسية - مدى قوة حرصهم
على الدين - ما اصططح في عهدهم من مذهب الجبرية - كيف
ذهبت دولتهم - عصر العباسيين - استعانتهم بالموالي -
طبيعة دولتهم السكهنوتية - كيف اسلم العباسيون المسلمين إلى
دور الانحلال .

١٩٥ - ١٨١

كيف ينهض المسلمون

تأثر العالم بعضه ببعض - شيوع الثقافة وسرعة تداولها
العوامل التي نهضت بأوروبا - تقدم الاوربيين في العلوم
الصناعية والطبيعية ، هل هناك من خطر في احتضان الثقافة
الاوربية - بحث في المذاهب الثقافية المعاصرة - خصوصيتها الشديدة
لروحانيات - المنشأ به في عوامل تأخر الاوربيين والمسلمين -
على أي شيء ينهض المسلمون - الحركات الدينية المعاصرة

كتب ظهرت للمؤلف

- ١ - أيامي أو فلسفة الحياة .
- ٢ - بحكمة الزمن أو طه حسين .
- ٣ - مع عقلاء الإنس ومجانين الجن .
- ٤ - لا أومن بالعقل .
- ٥ - هل أفلسنت حضارة أوربا .
- ٦ - البعث أو مذهب السلام .